بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شهرية بعنوان:

خفافيش الإسقاط

بقلم

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا الله عنه

لشهر رجب من سنة ١٤٤٤

الحمـــد للـــه رب العـــالمين والصـــلاة والســـلام علـــى ســـيدنا محمـــد وعلـــى آلـــه وصـــحبه والتـــابعين أمـــا بعـــد فـــإن مـــن طبيعـــة الطريـــق أن تعتـــرض الـــدعوة إلـى الحـــق ســـهام المتربصـين بهـا، وهـي ســنة اللـــه فـي الـــدعوات التي تهـــد عـــروش الباطـــل وتفضـــح جهـــل المـــدعين وضـــلال المبتـــدعين، فبعـــد إقامـــة الحجـــة وبيـــان المحجـــة لا تســـمع إلا صـــراخ وعويـــل المـــرجفين بـــالطعون المفرغـــة عـــن البيـــان أو التأصـــيل ... تهـــمٌ تلقـــى دون صـــدى وأوصـــاف مرســـلة للتشـــنيع والتنفيـــر، أمـــا فـــي ميـــدان العلـــم والـــردود لا تـــرى لهـــم أثـــرا ولا نفـــلا ولا بعـــرا، فمـــا وجـــدنا غيـــر ســـهام غـــدر تُرمـــى فـــي ظـــلام الجهـــل لعلهـــا تُصـــيب، وإذا قـــام ســـوق العلـــم فـــلا نعيـــر ولا مغيـــر ولا مجيـــب ... وهكـــذا أهـــل الأهـــواء والـــدعاوى لا يحســـنون إلا الصـــراخ كالثكـالى يلوكـون بكـلام أسـلافهم الجهميـة، كمـا قَـالَ أَبُـو عَبْـدِ اللَّـهِ: بَلَغَنِـي أَنَّ أَبَـا خَالِـدٍ، وَمُوسَـى بْـنَ مَنْصُـورٍ وَغَيْـرَهُمْ، يَجْلِسُـونَ فِـي ذَلِـكَ الْجَانِـبِ، فَيَعِيبُـونَ قَوْلَنَـا، وَيَـدْعُونَ إِلَـى هَـذَا الْقَـوْلِ، أَنْ لَا يُقَـالَ: مَخْلُـوقٌ وَلَا غَيْـرُ مَخْلُـوقٍ، وَيَعِيبُـونَ مَـنْ يَكْفُـرْ، **وَيَزْعُمُـونَ أَنَّـا نَقُـولُ بِقَـوْلِ الْخَـوَارِجُ** "، ثُـمَّ تَبَسَّمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ كَالْمُغْتَاظِ، ثُمَّ قَالَ: «هَؤُلَاءِ قَوْمُ سُوءٍ» [1].

لســـنا خـــوارجَ والـــذي فلـــق النـــوى — لســـنا أزارقـــة الجمـــوع الخاليـــة
لســـنا خـــوارج يـــا مداخلـــة الخنـــا — يـــا شـــر مـــن خطـــب المنـــابر لاغيـــة
يـــا نعـــل طـــاغوت حُمـــاة عروشـــهم — يـــا بائعـــا بالـــدين أجـــراً دانيـــة
إنَّـــا علـــى التوحيـــد دينـــا خالصـــا — علـــى الـــنهج صـــفوا للصـــحابة قافيـــة

ومـــن عجائـــب الـــدهر القواصـــم ونكباتـــه الفواجـــع أن يتصـــدر للكـــلام عـــن الـــدين قـــومٌ نعـــرف أغراضـــهم الخسيســـة ونفوســـهم الدنيئـــة، قـــومٌ بهـــت عـــاثوا فـــي الـــدعوة فســـادا وإفســـادا وكـــانوا معـــاول هـــدم لكـــل لبنـــة بنـــاء ...

[1] السنة للخلال ٥/١٣٧

قـومٌ لـم يتركـون عـاملاً لـدين اللـه إلا تفرغـوا لتنفيـر النـاس منـه وتـأليف الطعـون وتنسـيق الروايـات وكـل همهـم الإسـقاط ... ومـنهم مـن يطعـن بالكـذب والبهتـان فينسـب إلـى مـن يريـد إسـقاطه أقـولا لا يقـول بهـا والزامـات لا يلتزمهـا، بـل بعضـهم ينسـب لـه أقـوالا قـد قـال بخلافهـا فـي كتبـه ومؤلفاتـه!!! وهـذا هـو الفجـور فـي الخصـومة والاسـتخفاف بعقـول المتـابعين علـى الطعـون ... وبعضـهم ينقـل هـذا البهتـان فـي صـفحاته وشـهاداته دون تبـين أو تحـري لشـهوة الإسـقاط فقـط كأنـه عقبـة فـي طـريقهم وقـد قـال تعـالى: ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾[الزخـرف ١٩] ... إنهـم خفـافيش الإسـقاط حتـى لا يبـق لهـذا الـدين قائمـاً بـه يلتـف النـاس مـن حولـه، حتـى يتسـع المقـام وتفـرغ السـاحة لـرؤوس الجهـل والخـبص والعجـن فـلا يقـوم لهـم فاضـحٌ لجهلهـم وكـذبهم علـى الـدين وضـلالهم عـن الحـق ... **حتـى يبقـى المسـلمون كاليتـامى تحـت ليـل مطيـر ومسـتنقع الفـتن تنهشـهم كـلاب المخـابرات وتـزرع فـيهم مـن يفـرقهم كـل مُفـرَّق** ... حتـى لا يجتمـع مسـلمان علـى قـول واحـد فضـلا أن تكـون لهـم جماعة وإمام وصولة وجولة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

لـذلك ينبغـي علـى كـل مسـلم أن يكـون واعيـا لمخططـات أعـداء الإسـلام، فقـد مضـت أعـوام مديـدة لـم نـرى فيهـا إلا الخـذلان والتفـرق والشـتات ولا يزيـدنا ذلـك إلا خبـالا ونكـولا، وفـي كـل مـرة تظهـر فئـامٌ مـن الخفـافيش تفـتح مسـائلاً ومعضـلات يتلقفهـا الأغمـار بالجـدال والمـراء حتـى تـنفض مجالسـهم علـى مزيـد مـن قطـع الوصـال وابتعـاد الفجـوة واتسـاع الخـروق ... فمـن يبحـث عـن الحـق بـين هـذه المعرفـات يجـد أنـه قـد دخـل فـي متاهـة مـن الخلافـات والنـزاع والشـقاق فـلا يجـد إلا أعيانـا متنـافرة يكفـر بعضـهم بعضـا ويلعـن بعضـهم بعضـا، فيخـرج يجـر أذيـال الخيبـة والأسـى ولا يعـود إلا أن يشـاء اللـه، وكـل ذلـك إثمـه راجـع إلـى قطـاع الطريـق حُطَّـاب الليـل البهـيم، قـال ابـن بطـة:" فَأَمَّـا أَهْـلُ الْبِـدَعِ يَـا أَخِـي رَحِمَـكَ اللَّـهُ فَـإِنَّهُمْ يَقُولُـونَ عَلَـى اللَّـهِ مَـا لَا يَعْلَمُـونَ ، وَيَعِيبُـونَ مَـا

يَــأْتُونَ ، وَيَجْحَــدُونَ مَــا يَعْلَمُــونَ ، وَيُبْصِــرُونَ الْقَــذَى فِــي عُيُــونِ غَيْــرِهِمْ ، وَعُيُــونُهُمْ تَطْــرِفُ عَلَــى الْأَجْــذَالِ ، **وَيَتَّهِمُــونَ أَهْــلَ الْعَدَالَــةِ وَالْأَمَانَــةِ فِــي النَّقْــلِ ، وَلَا يَتَّهِمُــونَ آرَاءَهُــمْ وَأَهْــوَاءَهُمْ عَلَــى الظَّــنِّ** ، وَهُــمْ أَكْثَــرُ النَّــاسِ اخْتِلَافًــا ، وَأَشَــدُّهُمْ تَنَافِيًــا وَتَبَايُنًــا ، **لَا يَتَّفِــقُ اثْنَــانِ مِــنْ رُؤَسَــائِهِمْ عَلَــى قَــوْلٍ ، وَلَا يَجْتَمِــعُ رَجُــلَانِ مِــنْ أَئِمَّــتِهِمْ عَلَــى مَــذْهَبٍ**. فَــأَبُو الْهُــذَيْلِ يُخَــالِفُ النَّظَّــامَ ، وَحُسَــيْنٌ النَّجَّــارُ يُخَالِفُهُمَــا ، وَهِشَــامٌ الْفُــوَطِيُّ يُخَــالِفُهُمْ ، وَثُمَامَــةُ بْــنُ أَشْــرَسَ يُخَــالِفُ الْكُــلَّ ، وَهَاشِــمٌ الْأَوْقَــصُ وَصَــالِحُ بْــنُ قُبَّــةَ يُخَالِفَــانِهِمْ ، وَكُــلُّ وَاحِــدٍ مِــنْهُمْ قَــدِ انْتَحَــلَ لِنَفْسِــهِ دِينًــا يَنْصُــرُهُ ، وَرَبًّــا يَعْبُــدُهُ ، وَلَــهُ عَلَــى ذَلِــكَ أَصْــحَابٌ يَتْبَعُونَــهُ ، وَكُــلُّ وَاحِــدٍ مِــنْهُمْ يُكَفِّــرُ مَــنْ خَالَفَــهُ ، وَيَلْعَــنُ مَــنْ لَا يَتْبَعُــهُ ، وَهُــمْ فِــي اخْــتِلَافِهِمْ وَتَبَــايُنِهِمْ كَــاخْتِلَافِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى"[٢].

إن مــن المصــاب العظــيم أن يظــن بعــض المبتــدئين الــذين لــيس لهــم فــي العلــم والتأصــيل المتــين ســهم ولا نصــيب أنهــم يســتطيعون أن يتصــدروا فــي كــل المســائل أو أنَّ لهــم أنْ يجتهــدوا فــي النــوازل أو يَفصِّــلوا فــي الــدقائق أو ينــاطحوا أئمــة الــدين فيمــا قــرروه مــن أصــول واجتمعــوا عليهــا، ولمــا تــرى خربشــة هــؤلاء فــي الــدين وتــرى مقــالهم فــي التأصــيل والتنزيــل تــرى جــرأة وجهــلا فاضــحا مريبــا وكمــا قــال عبــد اللطيــف:" ولــه مــن ركاكــة القــول، وفهاهــة الخطــاب، وعــدم المعرفــة بقواعــد الإعــراب، مــا يوجــب تشــبيهه بســائمة الأنعــام، وثــور الــدولاب"[٣]، ومــا يضــاف إلــى ذلــك مــن التكفيــر علــى فــروع لمــا يضــبطوا أصــولها، فتــرى الشــقاق علــى جهــالات وأراء لــم يــتكلم فيهــا ســلف أو خلــف ومــا يزيــدهم ذلــك إلا وهنــا وشــتاتا ... ولــو ســكت جــاهلهم وزُجــر مجــادلهم ورُد الأمــر إلــى عــالمهم لكــان ذلــك خيــرا لهــم وأقــوم قــال تعــالى:﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي

٢ الإبانة الكبرى ٢/٥٥٥

[٣] الدرر السنية ١٢/٢٣٧

ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[النساء ٨٣].

لقد تعب الكثير من الصادقين من هذا الواقع المرير وكل من تصدر من هؤلاء الأغمار لا يزيد الحال إلا سوء بسبب جهله وعدم قدرته على سياسة من حوله من إخوانه، وبعض رؤوس الجهال هو الذي يمتحن أتباعه على قضايا لم يتكلم بها السلف فيكون هو الداء بدلا من أن يكون هو الشفاء من أدواء الفرقة والبلاء ... وبعضهم إذا خالفه أخٌ له في فرعٍ قد يسعهم فيه الخلاف استعمل معه كل طرق الإقصاء والهجر والتحذير مما لم يفعله مع أكابر المجرمين وقد كان بالأمس أقرب قريب ... وبعضهم قد أكل الحسد فيه الإنصاف فإذا وجد من يظن أنه يسلبه وجاهة أو صدارة أو أضواءً!! نصب له الكمائن وحفر الخنادق وسعى له في الإسقاط عبر مخططات لحرب قذرة، فيصبح خفاشا من خفافيش الإسقاط حتى تُسلَّط عليه الأضواء وتُسد عنده شهوة المرجعية الجوفاء ... وغير ذلك مما نراه من تحزبات وأهواء وجهالات متحكمة في النفوس لا يزداد بها المسلمون إلا تفككا وخبالا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أيها المسلمون إن الخطب عظيم والأمر جلل وكواهلنا تحمل حملا ثقيلا فكونوا على قدر ما حُملتم من أمانة فأنتم الأمل لبناء جيل مسلم ووضع لبنة يقوم عليها صرح الأمة التي تخرج من رحم هذه الجاهلية ... فإن الله ناظر إليكم وعالم بما في قلوبكم ويرى تقلبكم ومثواكم فالحذر أن يمقت أعمالكم فيستبدلكم بغيركم ولا يكونوا أمثالكم، فإن بذرة الحق تقوم على تربة صادقة ومحل صالح للبناء مع رعاية أهلها لها حتى يشتد ساقها وتؤتي أكلها بإذن الله تعالى ... لذلك لابد أن يخرج الصادقون من المستنقع الموجود في الساحة

اليوم واستنقاذ المسلمين منه ودلالتهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم والأخذ بأيديهم إلى الطريق الصحيح الذي يكون فيه المسير نحو المجد في الدنيا والخلود في مقام أمين ... فالواجب على المسلمين هو إقامة الجماعة المسلمة التي تُبنى على الوفاق في الأصول ورد النزاع إلى الكتاب والسنة وأهل العلم والأمر للفصل فيه، واعلم أخي المسلم أنك أن تكون ذنبا في الحق خير من أن تكون رأساً في بدعة أو فُرقة أو جهالة أو خفاشا تسعى للتفريق والاضرار بين المسلمين أو تُنشأ قناة أو منبرا إرصادا لكل نطيحة فتذيع فيه وسائل الفرقة ومسائل النزاع وتُظهر فيه مخالب العداء، فإن الله أعلم بالمقاصد والنيات والله ناصر دينه ومظهر كلمته ولو كره المجرمون، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، واعلم أن الله تبارك وتعالى قد أقام لهذا الدين رجالاً من أهل السنة هم الجماعة ومن كان معهم فاحرص أن تكون في صفهم وإيَّاك أن تخطئ طريقهم فضلا أن تناصب لهم العداء ... رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ وَذَكَرَ فِي حَدِيثٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْمَعَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الِاخْتِلَافَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا يَعْقُوبَ، مَنِ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ؟ **فَقَالَ: مُحَمَّدُ بنِ أسلم وأصحابه ومن تبعه**، ثُمَّ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ الْمُبَارَكِ: مَنِ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ؟ **قَالَ: أَبُو حَمْزَةَ السُّكَّرِيُّ. ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ: فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ .يَعْنِي أَبَا حَمْزَةَ .وَفِي زَمَانِنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَمَنْ تَبِعَهُ** ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ: لَوْ سَأَلْتَ الْجُهَّالَ عَنِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ لَقَالُوا: جَمَاعَةُ النَّاسِ، **وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْجَمَاعَةَ عَالِمٌ مُتَمَسِّكٌ بِأَثَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَطَرِيقِهِ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ وَتَبِعَهُ فَهُوَ الْجَمَاعَةُ.** ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ: لَمْ أَسْمَعْ عَالِمًا مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً كَانَ أشد تمسكاً بأثر النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ"[٤].

---

[٤] روى الأثر مختصراً الذهبي في السير (١٢ ١٩٦ .١٩٧) وفيها هذه الجملة. والأثر مخرج في الحلية (٩ ٢٣٨ .٢٣٩).

نسأل الله أن يجمع المسلمين على الحق ويمكن لهم في الأرض ويكفيهم شر أهل الدسائس والمخططات والإملاءات والخفافيش ويفضح كل من أراد بهم سوءا أو فتنة ... أسأل الله أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه ويهدي كل مريدٍ للحق ومنصف متجرد وأسأله أن يقصم ظهر كل متكبر وحاسد ومعاند لا يريد إلا الشقاق والمضارة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين

تمت